المسؤولون، فإنَّ على الأساتذة مسؤوليَّةَ الحثّ على النقاش وعلى أن يكونوا مربِّين مسؤولين.

حين أدلى برثولد بتعليقاته أمام صفوفه الصباحيَّة في جامعة نيو مكسيكو كان الطلاّب «ما يزالون يتساءلون إنْ كانت البُركوركي [في نيو مكسيكو] ستكون هي هدفَ [الإرهاب]» بحسب ما ذَكَرَ فوستر وهو مسؤول كبير في الجامعة، مضيفًا «كان ثمّة قدرٌ هائلٌ من الخوف والارتباك في هذا الشأن.» هذا وقد وَصَفت الجامعةُ، في رسالة أَوجزتْ فيها نتائجَ تحقيقاتها، تعليقاتِ برثولد بأنَّها ليست مسألةَ حريَّةِ تعبيرٍ بل هي انتهاكٌ أخلاقيٌّ. وقالت الجامعة إنَّ هذا الأستاذ فشل في أن يلتزم دورَه كدليلٍ «ثقافيٍّ.»

بعد أسبوع على الاعتداءات الإرهابيَّة بدأ كَنْ هيرلسون تدريسَ صف الفرشمن في مادة السياسة الأميركيَّة في جامعة أورانج كوست كوليدج في كوستا ميسا (كاليفورنيا) بالتساؤل بصوت عالٍ كيف يُمْكن العالَمَ الإسلاميَّ أن يدين الاعتداءات الإرهابيَّة في نيويورك ولا يدين التفجيرات الانتحاريَّة التي تَحْدث بشكل منتظم في إسرائيل. ويقول هيرلسون إنَّه كان يهدف إلى إشعال نقاش حيويّ بين الطلاّب المئتَيْن في صفِّه. غير أنَّ النقاش ما لبث أن انحرَفَ إلى سجالٍ حامٍ بين هذا الأستاذ وأربعة طلبة مسلمين رفضوا مساواةَ الأعمال الفلسطينيَّة بالإرهاب.

في اليوم التالي شكا الطلاّب إلى مدراء الجامعة من أنّ هيرلسون خصَّهم بالقول إنَّهم «إرهابيُّون» و«نازيُّون» - وهي تهمة ينفيها هيرلسون. وقالت صالحة عبد المعطي، وهي من مواليد كاليفورنيا وتتحدَّر من أبويْن من الشرق الأوسط، «إنَّه منحاز جداً ضدّ الطلاّب المسلمين ويَجْهر بذلك كثيرًا.» وتضيف قائلةً «في الأسبوع التالي، وبعد انتهاء الصفّ، أحاط بنا الطلاّبُ وراحوا يصرخون علينا. بعضُهم كان يقول 'ارجعوا إلى بلادكم'. شعرتُ بعواطف جيَّاشة. وبدأتُ أبكي.»

بعد أن تقدَّم الطلاّبُ بالشكوى تلقَّى هيرلسون مكالمةً هاتفيَّةً من رئيس الجامعة الذي أخبره بأنَّه تقرَّر أن يَتْرك هيرلسون الجامعة موقَّتًا، مع بقاء معاشه ساريًا إلى حين انتهاء الجامعة من التحقيق في الحادث.

«لا إجراءات مرعيَّةً. لا شيء،» قال هيرلسون البالغُ من العمر ٥٧ عامًا، وكان قد علّم في الجامعة ١٨ عامًا. «لم يؤذِ النقاشُ في تلك الجامعة أحدًا أبدًا، بحسب علمي. على الطلاّب أن يَسْمعوا في الصف أمورًا قد لا يسمعونها مرةً ثانيةً في حياتهم قطّ. إنْ لم توافقني الرأيَ فبمقدورك أن تقفَ وتُعْلنَ ذلك، ما دمتَ لم ترتكبْ أيَّ عنف.»

ولكنَّ مسؤولي الجامعة في أورانج كوست يعارضون ذلك. فقد قالوا إنَّ الاعتداءات الإرهابيَّة خلقتْ جوّاً خاصّاً يَنْبغي التزامُه داخل الصفوف نفسها. «المسألة ليست مسألةَ حريَّات أكاديميَّة. إنَّها مسألةُ سلوكٍ في الصفّ وكيف يعامِلُ [برثولد] التلاميذَ،» قال جيم كارنَت وهو ناطقٌ باسم الجامعة، متابعًا «ما حَدَثَ يتخطَّى حدودَ الحريَّات الأكاديميَّة. ونظرًا إلى ما يحدث خارج حدود الحرم الجامعيّ، فأنتَ لا تستطيع أن تتجاهل ذلك.»

برنامج بيل ماهر يواجه المنع

بيل ماهر، مقدِّم برنامج Politically Incorrect [غيرُ سليمٍ سياسيّاً]، كاد أن يتسبَّب في منع برنامجه على محطَّة ABC حين وصف السياسةَ العسكريَّةَ الأميركيَّةَ بأنَّها «جبانة» لقصفها من علٍ. فكان أن وَقَعَ في مشاكل مع شركتيْ «سيرز» و«فدرال إكسبرس،» وهما من رعاة المحطَّة، ودفع عددًا من شركاء ABC في بعض الولايات المتحدة إلى التوقُّف موقّتًا عن بثّ برنامجه. وقد سارع ماهر الى إنقاذ برنامجه بالقول علنًا إنَّه يقصد إدانةَ كلينتون (!) لاعتماده المفرط على القنابل الذكيَّة بدلاً من المقاتلين على الأرض.

دفاعاً عن الحريَّة الأكاديميَّة في الولايات المتحدة

وقَّع عددٌ من المثقفين والأساتذة الأميركيِّين والعرب بيانًا دفاعًا عن الحريَّة الأكاديميَّة في أميركا، وهي الحريَّة التي ضَمَنَها التعديلُ الأوَّلُ. ومن الموقِّعين إدوارد سعيد (أستاذ الأدب الانكليزيّ والمقارن في جامعة كولومبيا)، وأناتول أنطون (أستاذة الفلسفة في جامعة ولاية سان فرنسيسكو)، وريتشارد غيبسون (أستاذ مشارك للدراسات الاجتماعيَّة في جامعة ولاية سان دييغو). وهذا نصّه:

في الأزمة الناجمة عن أحداث ١١ أيلول الرهيبة، شارك أكاديميُّون على امتداد الولايات المتحدة في حلقات دراسيَّة، ومؤتمرات، وتظاهرات، وفي نشاطاتٍ أخرى تَهْدف إلى تنمية فهمٍ نقديٍّ مُطَّلع لما يَحْدث ولأسباب حدوثه. ولمّا كانت الولايات المتحدة اليوم تخوض حربًا في أفغانستان، فإنَّ مثل هذه النشاطات تتواصل. ولكنْ للأسف تَعَرَّض بعضُ المشاركين فيها للتهديد، وهوجموا للجَهْر بآرائهم. ويُعِدُّ أمناءُ جامعة «مدينة نيويورك» شجبًا رسميّاً لأساتذة في الجامعة انتقدوا

سياسةَ الولايات المتحدة الخارجيّة في ندوة عُقدتْ أثناء الأسبوع الأول من تشرين الأول (أكتوبر). وقد حدثتْ مساعٍ مماثلة لإسكات النقد والمعارضة في جامعة تكساس في أوستن، وفي معهد ماساتشوستش للتكنولوجيا، وفي جامعة كارولاينا الشماليّة في شابل هِلْ، وجامعة ماساتشوستش في آمهِرْست، وفي غيرها. وأخبرتْ روث فلاورْ، وهي مديرة السياسة العامّة في «الجمعيّة الأميركيّة لأساتذة الجامعات،» جريدةَ **بوسطن غلوب** في ٦ تشرين الأول (أكتوبر) «أنّنا نراقب هذه التطوُّرات بالكثير من القلق.» وتزامنت الاعتداءاتُ على الأساتذة الذين شكّكوا في سياسة إدارة بوش الحربيّة الحاليّة أو عارضوها مع تطوُّرات مشؤومة أخرى. فثمّة كليّاتٌ وجامعاتٌ تَضْغط عليها وكالاتُ الحكومة الفدراليّة لتسليمها معلوماتٍ خاصّةً من ملفّات طلاّبها. وهناك تحرُّكاتٌ في الكونغرس للحدّ من إعطاء تأشيرات دخول للطلاّب الأجانب. إنّنا نَدْعو أعضاءَ المجتمع الأكاديميّ كافّةً إلى الجهر بقوّة دفاعًا عن الحريّة الأكاديميّة والحريّات المدنيّة، لا كمبدإٍ مجرَّد فحسب بل كضرورة عمليّة أيضًا. ففي لحظةٍ كهذه علينا أن نَضْمن أن تُسمعَ كلُّ الأصوات المثقَّفة، ولاسيّما الأصواتُ النقديّةُ والمعارِضة.

... والرسوم الهزليّة غير مستحبّة أحيانًا

جايسون بلير*

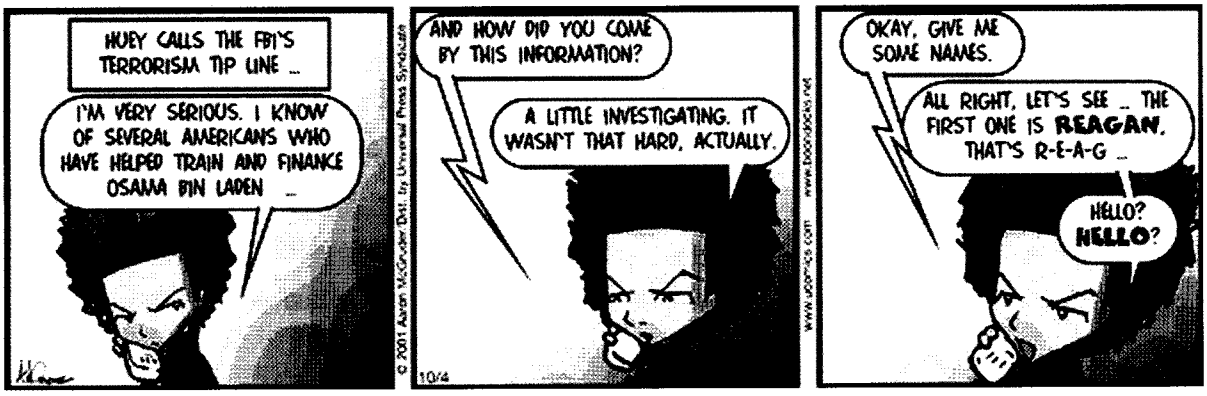

هيوي يتّصل بمكتب التحقيق الفدراليّ لإعطاء معلومات عن الإرهابيّين. «... أعرف بعض الأميركيّين الذين ساعدوا وموّلوا أسامة بن لادن. الأوّل اسمُه ريغان.» ولكنّه يجد الخطّ مغلقًا!

كانت أحداث الأسابيع الستة الأخيرة تحدّيًا بالنسبة إلى صانعي سلاسل الرسوم الهزليّة على صفحات الجرائد. البعض تعامَلَ مع الأمر بأن اكتفى بتجنُّب الإشارة إلى الإرهاب وإلى الحماسة القوميّة. ولكنّ آخرين، أمثال آرون ماكغرودر، تصدّوا لمثل هذه الموضوعات وجهًا لوجه.

ففي ٤ تشرين الأول (أكتوبر) مثلاً صوَّرتْ سلسلةُ رسوم السيد ماكغرودر الهزليّة وعنوانُها «الأرض النائية» إحدى شخصيّاتها الرئيسيّة، هيوي، وهو يتّصل بالرقم الذي خصّصه مكتبُ التحقيق الفدراليّ للإبلاغ عن المشتبه بدعم الإرهابيّين في أفغانستان. «حسنًا. لِنَرَ،» قال هيوي على التلفون، «الأول هو ريغان. ويُكتب هذا: ر، ي، غ...»

في سلسلة رسوم ماكغرودر الهزليّة في اليوم التالي، حاول هيو أن يُقْنع مكتبَ التحقيق الفدراليّ بذلك، فأشار إلى أنّ وكالة الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة CIA أيامَ حكم رونالد ريغان درّبتْ أسامة بن لادن وثوّارًا أفغانًا لقتال الاتّحاد السوفياتيّ. وتُلْمع سلسلةُ الرسوم بعد ذلك إلى أنّ إدارة بوش الحاليّة قد أعطت هي الأخرى حكومةَ طالبان دعمًا ماليّاً.

إثر ذلك قامت جريدةُ **نيوزداي**، في لونغ آيلاند، بمنع نشر السلسلة الهزليّة المصوَّرة مدّة أسبوع. وأوقفتْ **ذا دايلي نيوز**، في نيويورك، سلسلةَ «الأرض النائية» في ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ولم تَنْشر منها إلاّ حلقةً واحدةً منذ ذلك الحين، وقرّرتْ أن تنشرها بناءً على مضمونها يومًا بيوم. وعمدتْ جريدةُ **ذا دالاس مورنينغ نيوز** إلى نشر هذه السلسلة في صفحة بعيدةٍ عن السلاسل الهزليّة المصوَّرة الأخرى.(١) غير أنّ السيد ماكغرودر، وهو مخترعُ سلسلة «الأرض النائية» وكاتبُها ورسامُها البالغُ من العمر ٢٧ عامًا، لم يتراجع. فيومَ الأربعاء الماضي هَجَتْ سلسلتُه المصوَّرةُ الجرائدَ التي لم تَنشرْ رسومَه. فحملت

* ـ عن جريدة **نيويورك تايمز**، ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠١.

١ ـ تُنشر السلاسل الهزليّة المصوَّرة والمقالات في كثير من الأحيان في عدّة جرائد أميركيّة في الوقت نفسه. (م)